REVUE
DROIT & SOCIETE
مجلة
القانون و المجتمع
دورية علمية محكمة تعنى با لدراسات و الأبحاث في المجال القانوني و الاجتماعي و الاقتصادي.
PERIODIQUE SCIENTIFIQUE A COMITE DE LECTURE, CONSACRE A LA PUBLICATION D'ETUDES
ET DE RECHERCHES DANS LES DOMAINES JURIDIQUE, ECONOMIQUE ET SOCIALE

المالكية بالمغرب الأقصى خلال الفترة الوسيطية

The Malikis in Morocco during the Middle Ages

DOI : 10.5281/zenodo.7150648

يوسف لهواوي
باحث بسلك الدكتوراة
كلية الآداب والعلوم الانسانية -المحمدية-
جامعة الحسن الثاني المحمدية- الدار البيضاء

CC BY

المالكية بالمغرب الأقصى خلال الفترة الوسيطية

مجلة القانون و المجتمع
العدد السابع / أكتوبر 2022

ملخص:

يتميز المغرب باختيارات دينية تميزه عن باقي العالم الإسلامي، من هذه الاختيارات تبني المذهب المالكي في الجانب الفقهي. هذا الاختيار لم يكن اعتباطا بل كان خلفه مجموعة من الأسباب والظروف الصعبة التي أفرزت تبني هذا المذهب عبر أربع محطات؛ المرحلة الأولى تميزت بالتعددية المذهبية كالمذهب المالكي والبرغواطي والشيعي ... والتدافع فيما بينها، ثم المرحلة الثانية تبني مذهب مالك بن انس كمذهب رسمي من طرف المرابطين، ثم ثالث مرحلة الانتكاسة زمن الموحدين بسبب الدعوة للرجوع للمنبعين الشريفين الكتاب والسنة، والمرحلة الرابعة إعادة الاعتبار والريادة بداية مع المرينيين.

يوسف لهواوي

باحث بسلك الدكتوراة في التاريخ

جامعة الحسن الثاني المحمدية-

الدار البيضاء، المغرب

ردمد : 2737-8152

معهد الدراسات الاجتماعية و الاعلامية

إشكالية البحث:

تبنى المغرب المذهب المالكي كخيار ديني في وقتنا المعاصر. فما مدى علاقة المغاربة بالمذهب المالكي تاريخيا؟ هذا الأمر بطبيعة الحال يجعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات من قبيل؛ هل يعتبر المذهب المالكي أول مذهب فقهي يدخل بلاد المغرب الأقصى؟ هل لاقى المذهب المالكي الترحاب من الوهلة الأولى أم أن الأمر كان فيه أخذ ورد؟ وفي أي مرحلة من مراحل التاريخ المغربي تم تبني المذهب المالكي؟

الكلمات المفتاحية: المذهب المالكي/ المغرب الأقصى/ المسألة الدينية/ الإمام مالك.

THE MALIKIS IN MOROCCO DURING THE MIDDLE AGES

Abstract*:*

Al Maghreb Al Aqsa, or Morocco, is distinguished from the rest of the Islamic world by its religious practices. The adoption of the Maliki school of jurisprudence is one of these options.

Youssef LAHOUAOUI

PhD Student in history

HASSAN 2 UNIVERSITY EL MOHAMMADIA, CASABLANCA, MOROCCO

This decision was not made randomly; rather, it was motivated by several factors and difficult circumstances behind it Which resulted in the adoption of this madhab through four steps. The first step was characterized by sectarian pluralism, including the conflict between the Maliki, Shia, and Barghouti madhabs. The second step was the adoption of the Malik bin Anas madhab as an official one by the Almoravids, the third step is characterized by retrogression during the time of the Almohad era due to the appeal to turn back to the two noble sources, the Quran and the Sunnah, and the fourth step, is distinguished by the restoration of consideration and leadership, beginning with the Marinids.

The Research problem:

In the modern era, Morocco has adopted the Maliki madhab as its official religion, the matter that rise a question about what historical connection do Moroccans have to the Maliki madhab? This naturally prompts us to ask several questions, such as: Is the Maliki school regarded as the first madhab to reach the Maghreb? Was the Maliki madhab immediately welcomed, or was there a problem? When was the Maliki madhab adopted in Morocco, and at what point in its history?

Keywords: the Maliki madhab, Al Maghreb Al-Aqsa, the religion issue, Imam Malik.

تقديم:

تعتبر المذاهب الدينية في الإسلام من بين الأمور التي تعرف اهتماما بالغا من قبل الخاصة قبل العامة بل خصوصا من قبل

الحكام في العصور الوسطى، لأن أغلب الصراعات في الغالب كانت وراءها توجهات مذهبية، كالصراع القائم ما بين السنة والشيعة، والصراع ما بين الخوارج والمرجئة، وقص على ذلك...ولهذا دائما ما كانت تتبنى الدولة مذهبا من أجل استتباب الأمن بشكل عام في البلاد حتى لا تسفك الدماء وتعم الفوضى.

ومن هذا المنطلق شكل المذهب المالكي ركيزة أساسية من بين الركائز الثلاث التي تؤثث المشهد الديني بالمغرب، إلى جانب العقيدة الأشعرية والتصوف السني. بل عمل هذا المذهب على حفظ الجسد المغربي من الفرقة والتشرذم والصراعات الدينية، قبل أن كان الصراع قائما بين كيانات المغرب الأقصى.

إن الإشكالية التي يطرحها هذا الموضوع بالدرجة الأولى تتجلى في ما مدى علاقة المغاربة بالمذهب المالكي؟ هذا الأمر بطبيعة الحال يجعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات من قبيل، هل يعتبر المذهب المالكي أول مذهب فقهي يدخل بلاد المغرب الأقصى؟ هل لاق المذهب المالكي الترحاب من الوهلة الأولى أم أن الأمر كان فيه أخذ ورد؟ وفي أي مرحلة من مراحل التاريخ المغربي تم تبني المذهب المالكي؟.

كل هذه الأسئلة تطرح نفسها بإلحاح في العقل اللاوعي لدى كل باحث في الموضوع على وجه العموم، وكل المغاربة على وجه الخصوص. وبالتالي حاولنا أن نقارب هذا الموضوع عبر مجموعة من المحطات.

المحور الأول- التعدد المذهبي بالمغرب قبيل المرابطيين

قبل صبر أغوار البحث في تاريخ المذهب المالكي لابد من الوقوف على المصطلح لغة واصطلاحا ،"المذهب- في اللغة- مصدر ميمي يطلق على الطريق ومكان الذهاب وزمانه، ونقل عند الفقهاء من حقيقته اللغوية إلى الحقيقة العرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة في الأحكام الاجتهادية. فالمذهب المالكي هو ما ذهب إليه الإمام مالك من الأحكام الاجتهادية استنتاجا واستنباطا [...] ويطلق المذهب عند المتأخرين ويراد به الفتوى، من باب إطلاق الشيء على جزئه الأهم"[1].

أما على المستوى التاريخي فساهمت عوامل وأحداث في بلورة مذاهب عقدية وفقهية وسياسية بالعالم الإسلامي، والتي انتقل

(1)- محمد شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، 2000م/1421هـ.ص 7و8.وأنظر أيضا عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة والهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، ط.1، 1993، ص.9.

صداها إلى المغرب الأقصى[2]. فمع الفتح الإسلامي انتشرت به مذاهب فقهية دعوية، ثم مذاهب فكرية سياسية مناوئة للخلافة بالمشرق، والتي كان من أبرزها فرقة الخوارج التي تصدت لسلوك ولاة بني أمية، وانتقلت من الطابع الاجتماعي الديني إلى الطابع السياسي وذلك بنجاحها في تأسيس إمارة بني مدرار الصفرية بسجلماسة وإمارة بني رستم الإباضية بتاهرت. كما تمكنت الدعوة الشيعية من إيجاد موطأ قدم لها أيضا ضمن الخريطة المذهبية للمغرب مع المذهب الزيدي و البجلي والفاطمي.

وعلى هذا يمكن حصر المذاهب الدينية بالمغرب الأقصى خلال القرون الثلاثة الأولى في ثلاثة مذاهب دينية رئيسية ، المذهب المالكي ، والمذهب الشيعي ، والمذهب الخارجي[3] ،هذا بالإضافة إلى المذهب البرغواطي. كل هذا قبل أن يتمكن المرابطون من فرض وتعميم المذهب المالكي السني بالقوة على عموم بلاد المغرب، بعدما كان هذا الأخير محصورا في عدة مناطق.

يقول البكري عن المرابطين "وهذه القبائل هي التي قامت بعد الأربعين وأربعمائة بدعوة الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم، وهم على السنة ومتمسكون بمذهب مالك بن أنس رضي الله عنه"[4].

أولا- المذهب السني المالكي بالنكور[5] :

ظهرت إمارة نكور منذ سنة 123هـ على يد صالح بن منصور المعروف بالعبد الصالح، وتعتبر إمارة نكور أول إمارة مستقلة بالمغرب الأقصى[6] بعد ثورة البربر على ولاة بني أمية، وتبنت المذهب السني المالكي. وقد أوصى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك واليه على إفريقية(تونس حاليا) والمغرب موسى بن نصير بأن لا يتعرض لصالح بن منصور ولا يتدخل

(2) - يقول الناصري" ثمَّ بعد ذَلِك مملكة الْمغرب الْأَقْصَى وَسمي الْأَقْصَى لِأَنَّهُ أبعد الممالك الثَّلَاث عَن دَار الْخلَافَة فِي صدر الْإِسْلَام وحد هَذَا الْأَقْصَى من جِهَة الْمغرب الْبَحْر الْمُحِيط وَمن جِهَة الْمشرق وَادي ملوية مَعَ جبال تازا وَمن جِهَة الشمَال الْبَحْر الرُّومِي وَمن جِهَة الْجنُوب جبل درن قَالَه ابْن خلدون،وَفِي تَقْسِيم الفرنج أَن الْمغرب الْأَقْصَى يشْتَمل على خمس عمالات عمالة فاس وعمالة مراكش وعمالة السوس وعمالة درعة وعمالة تافيلالت وَدَار الْملك بِهِ تَارَة فاس وَتارَة مراكش وَهُوَ فِي الْأَغْلَب ديار المصامدة" أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997 م، ج1ص127. أنظر أيضا تاريخ المغرب تحيين وتركيب، تحت إشراف محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى،2011م،ص145و146.

(3) - نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف ق11/5م، تبر الزمان ، تونس، 2004م، ص128.

(4) - أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج2ص858.

(5) - "النكور مدينة مغربية قديمة تقع بالريف قرب الوادي المسمى باسمها غير بعيدة عن مدينة الحسيمة ،وأصل الكلمة من أنكور التي تعني في الأمازيغية التيس"مقال رشيد السلامي، "نكور"، معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،1426 هـ /2005م ، ج 22 ص7468، لمزيد من التفصيل راجع نفس الجزء والصفحة.

(6) - ميلود كعواس، إمارة النكور ودورها في خدمة المذهب المالكي، منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الناظور، مطبعة القبس، الناظور، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م.ص48.

في شؤون إمارته "لعدله ويتركه على رأيه"[7]، وذلك نظرا لتبني مذهب أهل السنة والجماعة سواء في عهده أو في عهد خلفائه، فهذا ابنه المعتصم يقول عنه ابن خلدون "وولي أمره من بعده ابنه المعتصم بن صالح، وكان شهما شريف النفس كثير العبادة. وكان يلي الصلاة والخطبة لهم بنفسه"[8]. وبقي آل صالح متمسكون بالمذهب السني المالكي رغم ثورات الخوارج الذين حاولوا اكتساح المغرب بفكرهم، وكذا المد الشيعي الفاطمي[9].

بل إن هذه الإمارة الصغيرة المساحة ربما كانت سببا في تصدير مذهب مالك إلى الأندلس ووضع حد للعمل بمذهب الأوزاعي، وهو ما قد يتجلى من خلال مجموعة من العلماء الذين نسبوا إلى موطن هجرتهم بالأندلس، فهذا يحيى بن يحيى الوسلاسي المصمودي الملقب بالليثي (ت.234هـ/848م) "إليه انتهت الرياسة بالفقه في الأندلس وبه انتشر مذهب مالك"[10]. لكن يبقى انتماؤه الأصلي هو بلاد نكور، وأبي محمد بن عبد الله الهمداني(ت434هـ)[11]، وكذا أبي محمد عبد الله بن محمد اللخمي النكوري(ت513هـ). وغيرهم من كبار الفقهاء والعلماء والقضاة، من أبرزهم الأمير عبد الرحمان بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الملقب بالشهيد[12].

على أي، فقد جمع أمراء نكور بين الإمامة السياسية والدينية، إذ كانوا يصلون بالناس ويخطبون فيهم، ويدبرون شؤونهم وفق أحكام المذهب السني المالكي، وذلك رغم ما لاقوه من تهديدات ومحن خاصة من قبل الفاطميين[13]. فموقع إمارة نكور جعلها في مجال الصراع الدائم بين أموي الأندلس وهم من السنة، والعبيديين الفاطميين بإفريقية وهم من الشيعة، وقد تمكن الفاطمي مصالة بن حبوس من السيطرة على نكور سنة 308 هـ في إطار صراعه ضد أمويي الأندلس[14]. وهكذا كانت إمارة نكور في خضم الصراع الأموي الفاطمي إلى حدود سنة 473 هـ/1080م لما استولت عليها جيوش يوسف بن تاشفين المرابطي وخربت نكور ولم تعد تعمر[15].

يقول الطاهري "وعلى مدى ما ينيف عن ثلاثة قرون من الزمن، تفانى أهل نكور في الحفاظ على جذوة السنة والجماعة متقدة وسط

(7)- ابو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، طبعة 1991م، ص81.

(8)- عبد الرحمن ابن خلدون، العبروديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988 م.ج6، ص283.

(9)- أحمد الطاهري، المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية، ص89و90.

(10)- المرجع السابق نفسه، ص92.ولمزيد من التفصيل حول يحيى الليثي يراجع القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج3، صص379-393.

(11) - ميلود كعواس، إمارة النكور، ص82و85.

(12)- البكري، المسالك والممالك،ج2ص.276. وأحمد الطاهري، المغرب الأقصى ومملكة بني طريف، ص92-93.

(13)- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص.281.

(14) - ابن خلدون، العبر،ج6 ص286.

(15) - رشيد السلامي، "نكور"، معلمة المغرب، ج22ص7468.

الإعصارات المذهبية [...]كما ظلوا متمسكين بمذهب مالك فيما يشبه جزيرة منفردة بعد المحنة الشهيرة التي نالت المالكية بإفريقية"[16].

ثانيا- المذهب الشيعي الزيدي بفاس(172-305هـ)(17):

تضاربت الآراء حول المذهب الذي قدمه الأدارسة فالبعض جعلهم شيعة أو معتزلة وهناك من جعلهم سنيين عملوا على نشر المذهب المالكي[18]، لكن تبقى القاعدة المذهبية لإمارة الأدارسة من النقط التي تحتاج المزيد من تسليط الضوء في التاريخ المذهبي للمغرب الأقصى، "فلئن كنا نعدم الأدلة على تمسك الأدارسة بالمذهب الزيدي-الإعتزالي بعد المولى إدريس الأول، فإننا لا نملك أيضا ما يثبت انتسابهم لأهل السنة، بل لدينا على العكس من ذلك ما يدفع إلى الاعتقاد في أن ما نسب إليهم في هذا الباب هو من صنع المصادر المتأخرة عن زمانهم ليس إلا"[19]، خاصة الكتابات المرينية التي اهتمت بمناقب الشرفاء وإظهار اهتمام أمراء بني مرين بهم من أجل كسب شرعية دينية سياسية لسلطتهم.

أغلب مؤرخي العصر الوسيط يقولون بأن إدريس بن عبد الله لما فر من بطش العباسيين بعد وقعة فخ، لجأ إلى المغرب ونزل عند إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي[20]، لكن عبارة "فتابعه على مذهبه"[21] عند البكري تبدو غير واضحة، إذ لا نعلم من خلالها من تابع أحدهما مذهب صاحبه. فابن خلدون يقول أن "أميرهم يومئذ بوليلى إسحاق بن محمد بن عبد الحميد منهم فأجاره وجمع البرابر على دعوته"[22]، ويذكر ابن أبي زرع أن الأمير العلوي أظهر لزعيم أوربة "أمره وعرفه بنفسه، فوافقه في حاله"[23]، وهذا يعني أن الثاني هو الذي وافق الأول في قناعاته المذهبية. لكن هناك رأي مخالف يذهب إلى أن إدريس الأول هو الذي اتبع المذهب المعتزلي[24] الذي كان يتبناه إسحاق ابن محمد الأوربي، يقول صاحب الاستبصار" فوافقه إدريس على مذهبه"[25].

(16) - أحمد الطاهري، المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية، ص94.

(17) - محمد شرحبيلي، تطور المذهب المالكي، ص53.

(18) - الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص128-129.

(19)- حسن حافظي علوي، "الدعوة الشيعية ببلاد المغرب"، ضمن أعمال ندوة المذاهب الإسلامية: من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 147، ص.101.

(20) - مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1986 ،ص195.

(21)- البكري، المسالك والممالك، ج.2،ص799.

(22)- ابن خلدون، العبر، ج2. ص.195.

(23)- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص19.

(24) - "فرقة من أهم الفرق الكلامية في الإسلام، زعيم مذهبها واصل بن عطاء(80-141هـ)الذي كان على إطلاع واسع بمقالات الفرق والملل والنحل والكلام[...]أسس مذهب الاعتزال الذي ينعت أحيانا بالواصلية نسبة إليه" سالم يفوت، " الاعتزال المغرب "، معلمة المغرب، ج2 ص511.

(25)- مؤلف مجهول، الاستبصار، ص195.

الظاهر بأن الاتجاهين الزيدي والإعتزالي قد تعايشا في كنف الدولة الإدريسية الناشئة على الأقل في البدايات الأولى، ولعل ترك إدريس الثاني لقاعدته وليلي وانتقاله إلى مدينة فاس ناجم عن تراجع "الود المذهبي" بين الاتجاهين، وبداية مرحلة الصراع لإثبات الوجود.

يشير صاحب الاستبصار إلى نقطة مهمة، ألا وهي أن هارون الرشيد الخليفة العباسي لما أراد القضاء على الزعيم العلوي المعارض إدريس بن عبد الله، اختار لهذه المهمة- بمساعدة من وزيره يحيى بن خالد- سليمان بن جرير الجزيري، "وكان رجلا من ربيعة متكلما ممن يرى رأي اليزيدية[26] متعصبا لآل أبي طالب[...] وكانت له إمامة [...] وكان إدريس عالما برياسة سليمان باليزيدية، فلما وصل إليه قال : إني جئتك بنفسي وحملتها على ما حملتها عليه لمذهبي فيكم أهل البيت، فجئتك لا في حاجة إليك إلا لأنصرك بنفسي، فسر إدريس بقوله. وقبله أحسن قبول[...] فكان سليمان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء إلى ولد رسول الله ﷺ، ويحتج لأهل البيت كاحتجاجه بالعراق. فأعجب ذلك إدريس منه"[27].

من خلال هذه الإشارة يظهر أن إدريس الأول حمل معه الدعوة الشيعية والمذهب الزيدي إلى بلاد المغرب، بل قبل ذلك فإن هناك قرائن ووقائع تثبت وصول التشيع الزيدي إلى الغرب الإسلامي في خلافة أبي جعفر، فقد بعث محمد النفس الزكية أخاه "عيسى إلى إفريقية، فأجابه بها خلق كثير من قبائل البربر"[28]، كما أن سليمان بن عبد الله قد نزل بتلمسان واستوطنها[29]، وأصبح أخوه إدريس إماما لبعض الزيدية[30]. والمهم أن المذهب الشيعي الزيدي قد وجد له موطئ قدم بجهات كثيرة من المغرب. وذلك على حساب اتجاهات دينية أخرى، خاصة المذهب الخارجي الصفري.

علاوة على ما سلف، فإن هناك ما يؤكد على التوجه الشيعي لأئمة الأدارسة، من ذلك وجود اسم "علي" و"المهدي" على بعض مسكوكاتهم[31]، كما أن الشيعة البجليين "دعوا لبعض الأمراء الأدارسة وأقاموا الدعوة الشيعية بالسوس لتتأكد الصلة بين الأدارسة والتشيع في مرحلة ضعفهم تماما كما كانت ثابتة في بداية عهدهم بالحكم ... وتنتسب هذه الطائفة إلى علي ابن ورصند البجلي[32]

(26) - المقصود بالزيدية: هم "أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم". أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، 1395 هـ/ 1975 م ،ج1ص154.

(27)- مؤلف مجهول، الاستبصار، ص195.أنظر أيضا القصة لدى البكري، المسالك والممالك ،ج2، ص801.

(28)- ابن أبي زرع، القرطاس، ص.18.

(29)- المصدر السابق نفسه، ص.18.

(30)- ابن خلدون، المقدمة، ص187.

(31) - حافظي علوي حسن، "الدعوة الشيعية ببلاد المغرب"، ندوة أعمال المذاهب الإسلامية من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 147، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1429/2008م، ص100.

(32)- اختلفت المصادر في اسم مؤسس النحلة البجلية، أنظر ذلك عند وداد القاضي، "الشيعة البجلية في المغرب الأقصى"، ضمن

(ت.296هـ/909م) الذي قام على الأمير إدريس بن القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس صاحب إيجلي، وأدى تحالف هذا الداعية مع الأمير الإدريسي إلى سيادة المذهب الشيعي الموسوي. والذي إذا كان قد امتد إلى تيومتن قاعدة درعة قد تردد في المناطق القبلية المجاورة لها، ولا يستبعد أن يكون الصدى قد امتد إلى مناطق بعيدة"[33].

إن اعتدال الحركة الشيعية الزيدية جعلها تكسب إلى جانبها بعض الطوائف الفكرية كطائفة المعتزلة، كما أنها اعترفت بالخلافة لأبي بكر وعمر ﷺ وأسبقيتهما على علي ﷺ، ولا تقول بضرورة حصر الإمامة في سلالة فاطمة بنت الرسول ﷺ(34).ورغم أن الأدارسة لم يتبنوا المذهب المالكي أو يعملوا على نشره، فإنهم أكنوا له احتراما خاصا، بل إنهم لم يلزموا الناس بتبني المذهب الشيعي أو غيره، "فقد كانت استراتيجيتهم المذهبية التسامح غير المخل بمصالحهم، ولذلك وجدت المذاهب حرية في مغرب الأدارسة، إلا أن السكان فضلوا المذهب المالكي لاعتبارات خاصة بهم"[35]. وساعدت هذه الظروف على بروز علماء درسوا على الإمام مالك كعامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي استقضاه إدريس الثاني[36]، وأحمد بن حذافة وبشار بن ركانة البصريين[37]، وأبو ميمونة دراس بن إسماعيل وغيرهم[38]. التمكين للفقهاء المالكيين الوافدين على المغرب من القيروان إلى الأندلس في دواليب السلطة. أنظر ابن أبي زرع، ص 29 وما بعدها).

ثالثا- المذهب الخارجي الصفري(140-297هـ) بسجلماسة[39].

ارتبطت نشأة الخوارج بحادثة التحكيم بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية بصفين، والذين رفضوه باعتبار أن عليا ﷺ قد تنازل بذلك عن حقه الشرعي في الإمامة(40)، فكفروه بعدما شايعوه، وافترقوا فرقا تميزت بشدة البأس والاندفاع في نصرة مبادئها، لكن ذلك لم يحل دون سحقها والقضاء عليها من قبل الأمويين وولاتهم فلجأ فريق منهم لبلاد المغرب، يقول حسن جلاب "اختار الخوارج هذه المنطقة لما يفصل بينها وبين الخلافة وعمالها من حواجز طبيعية، فهي واقعة أقصى الصحراء في نهاية العمران ببلاد المغرب

أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، سلسلة الدراسات التاريخية -1- الجامعة التونسية، 1979، ج.1، ص.170-171.

(33)- حافظي، "الدعوة الشيعية ببلاد المغرب"، ص.101-102.

(34)- لمزيد من التفصيل حول الزيدية يراجع، الشهرستاني، الملل والنحل، ج1من ص154إلى ص161.

(35)- رضوان مبارك، المذهب المالكي بالمغرب في عهد المرابطين و الموحدين ،د.د.ع.في التاريخ،كلية الآداب- الرباط،1995-1996،هامش ص.198.

(36) - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،1420هـ/2000م،ج1، ص115.

(37) - المرجع نفسه .ص115.

(38) - المرجع نفسه.ص115.

(39) - أنظرالسيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1982م،صص497- 503.

(40) - أنظر القصة لدى أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2012م، صص277- 286.

من ناحية الجنوب والغرب إلا أنها خصباء ومعطاء"[41]. وهكذا استقر المذهب الإباضي بالمغرب الأوسط، في حين وجد المذهب الخارجي الصفري في المغرب الأقصى مرتعا لدعوته وخصوصا مع سياسة الإقصاء التي كان يعاني منها أهل تلك المناطق من قبل ولاة الأمويين.

من الصعوبة تحديد تاريخ بداية الدعوة الصفرية ببلاد المغرب الإسلامي، لكنها ارتبطت فيما يبدو بشخصية عكرمة مولى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ﷺ، والذي يقال عنه أنه (أي عكرمة) من أصل مغربي، وقد حاول نشر مذهبه انطلاقا من القيروان، وذلك بعدما رحل إلى المشرق وتفقه على يد كبار الصحابة والتابعين والفقهاء[42]. لكن يظهر "من خلال الإشارات المصدرية أن عكرمة لم يكن داعية كما هو الشأن بالنسبة لابن واسول الذي يعتقد أنه الداعية الصفري الحقيقي"[43]، والذي ارتحل إلى المدينة المنورة، فأخذ العلوم الشرعية عن التابعين وتتلمذ على عكرمة مولى ابن عباس(44)، بل صار "مقدم الصفرية"[45] بين قبائل مكناسة وبطونها كما يقول محمد الشاطبي المغربي، قبل أن ينتقل إلى سجلماسة ونواحيها ليؤسس إمارة تتبنى مذهبه الخارجي.

إن السياسة الجائرة التي اتبعها الأمويون بالمغرب قد أذكت نار الثورات والتمردات ضدهم، وعجلت بتوسع مجال نفوذ المذهب الخارجي. فالبكري يشير إلى جماعة السودان الذين تبنوا المذهب الصفري بسجلماسة أيام عيسى بن يزيد الأسود[46]، وذلك بعدما انتشر بين قبائل الشمال ومدنه بفعل الثورات والانتفاضات التي بدأت بزعامة ميسرة المطغري، وكان من ثمارها قيام السلطة المدرارية بمنطقة سجلماسة التي بنت قاعدتها هناك بتخوم الصحراء البعيدة عن بطش بني أمية. وهنا نسجل أن صفرية بني مدرار قد ناقضوا أصول مذهبهم، إذ تحولت الإمامة عندهم من حق لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة إلى ملك وراثي، كما هو الشأن بالنسبة لباقي الكيانات السياسية الأخرى، فبقيت السلطة محصورة في ذرية أبي القاسم سمكو بن واسول المكناسي، بالرغم من أن بعض أعقابه لم يبق وفيا للخط المذهبي للإمارة، وارتضى لنفسه مذهبا بديلا، الأمر الذي ينطبق على محمد بن ميمون (263-270هـ) الذي كان إباضيا[47]، وكذلك محمد بن الفتح الملقب

(41) - حسن جلاب، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، منشورات الجامعة، السلسلة الأدبية1، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، مارس 1985م،ص7.

42- محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار العودة، بيروت،1976م، ص.46-47/ الطاهري، المغرب الأقصى، ص.96 / محمد حناوي، "الصفرية بالمغرب: من الدعوة إلى الإمارة"، ضمن أعمال المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب: من التعدد إلى الوحدة، إحالة سبق ذكرها، ص.16.

43- محمد حناوي، "الصفرية بالمغرب"، ص.16.

44- ابن خلدون،العبر، ج6ص.172.

45- محمد الشاطبي المغربي، نظم الجمان في أخبار الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 1416 تاريخ، ورقة 203، نقلا عن محمود إسماعيل، الخوارج، ص.48.

(46)- البكري، المسالك والممالك، ج2 ص837.

47- ابن خلدون، العبر، ج6 ص173.

بالشاكر لله الذي انقلب على المذهب الخارجي "وأخذ بمذاهب أهل السنة"[48].

رابعا- المذهب البرغواطي بتامسنا[49] :

من بين إمارات التجزئة السياسية لمغرب ما بعد الفتح الإسلامي نجد مملكة بورغواطة، والتي بسطت سيطرتها على منطقة شاسعة، ألا وهي بلاد تامسنا[50]، ويظهر أنها اتخذت من فضالة قاعدة لها[51]، كما أن حقيقة مذهبها قد تعرض لنوع من التعتيم نتيجة تحامل المصادر عليها، وهو ما ساهم في اضطراب وغموض تلك الحقيقة، وذلك على عكس باقي الكيانات السياسية المعاصرة لها، والتي نملك معلومات مقبولة نسبيا عن توجهاتها المذهبية والدينية، فقد وصف الإخباريون بورغواطة بنعوت خطيرة كالكفر والضلال وغير ذلك[52].

والسؤال المطروح: ما حقيقة المذهب البورغواطي ؟

من خلال الأدبيات التاريخية، لم تصلنا مبادئ الاختيار الديني لبرغواطة كاملة[53]، بل تعاليم وطقوس فيها غرابة وفي الوقت نفسه فيها اقتباس واضح من الإسلام، وهذا ما أعطانا آراء وتأويلات متعددة من قبل الدارسين، إلا " أن أغلب تلك التأويلات لا تخضع لمنطق سليم ولا تستند إلى وقائع مضبوطة ومعلومة بل تتأسس على خلفيات إما دينية أو فكرية أو سياسية"[54].

كما أكد رشيد السلامي[55] على أن أصحاب المصادر أيضا لم يضعوا في حسبانهم طبيعة المرحلة التاريخية التي يجتازها المغرب،

48- المصدر السابق نفسه، ج6 ص174.

(49) - للإطلاع على خبر وديانة البرغواطيين يراجع ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1983 م، من ص223الى228. وكذا ابن أبي زرع ، القرطاس، صص130-133. وإبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب 127-542هـ، منشورات الجامعة، السلسلة التاريخية رقم1، الطبعة الأولى،1983م. وعشاق مولود، حركة المتنبئين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، دار النشر الأحمدية، الدار البيضاء، 1999-1419هـ.

(50) - "تامسنا لفظة بربرية الأصل استعملت في العديد من المناطق المغربية بصيغ مختلفة، ويبدو أنها كانت تطلق على كل بسيط خصب قريب من البحر"حسن أميلي وأحمد سراج، فضالة أو عودة الذاكرة، جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية-مركز الدراسات والبحوث التاريخية والأثرية، مطبعة الرسالة،الرباط، يناير2000م، ص38. ولمزيد من التفصيل أنظر المرجع نفسه هامش ص.38و39.

(51) - المرجع السابق نفسه، ص43و44.

(52)- يقول ابن أبي زرع أن بورغواطة "مجوس أهل ضلال وكفر[...]ولم يبق لديانتهم خسيسة أثر " (القرطاس، ص130إلى133)، في حين يذكر ابن خلدون أن يونس بن إلياس أحد أمرائهم "أظهر دينهم ودعا إلى كفرهم.." بعدما كان أبوه مظهرا للإسلام (العبر، ج6 ص277)، أما ابن عذراي فأشار إلى أن ما شرع لهم يونس إنما هو "الضلال" الذي تتعدد مظاهره. (البيان المغرب، ج.1، ص.226). وللإشارة فهذه المصادر متأخرة عن مرحلة نشأة هذه الديانة.

(53) - إضافة إلى وجهة نظر فردية للطرف المعادي للإمارة، الشيء الذي لا يعطي مصداقية تامة، ناهيك عن انعدام كتابات لكتاب ينتمون للإمارة البرغواطية.

(54)- رشيد السلامي، "حول المرجعية المذهبية والتاريخية لبرغواطة"، ضمن أعمال ندوة المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب: من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 147، ص.39، ولمزيد من التفصيل أنظر ص.39-41 من المقال نفسه.

(55)- المقال السابق نفسه، ص33.

والمتمثلة في البدايات الأولى للإسلام وحداثة المغاربة به، وما يمكن أن يرافق ذلك من استمرار رواسب بعض العادات والسلوكات التي ليست من مبادئ الدين الإسلامي في شيء، خاصة في المناطق التي عرفت احتكاكا أقل مع الفاتحين الجدد، وهو ما ينطبق على إمارة تامسنا التي برزت فيها شوائب وخرافات دينية أكثر من غيرها حتى عدها الكثيرون أقرب إلى الكفر منه إلى الإسلام.

إن قضية أن صالح بن طريف وضع لأتباعه قرآنا، وادعى أنه وحي من الله تعالى قد لا يعدو أن يكون ترجمة القرآن إلى اللسان الأمازيغي ليس إلا؛ وحتى ييسر لهم فهم كلام الله تعالى واستيعاب معانيه وأحكامه[56]. ومع هذه الترجمة وجد في أهل تامسنا "من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السور وتأول آياته، على موافقته لكتابهم وقرآنهم"[57]، والأمر هنا قد يصدق خاصة على العلماء الذين لهم دراية بالنص الشرعي وباللغة العربية أيضا.

كان طريف أبو صالح على ديانة الإسلام، كما أنه كان من أصحاب وقادة ميسرة المطغري القائم بدعوة الصفرية[58]؛ ولما قتل هذا الأخير وتفرق جميع أنصاره "بقي طريف قائما بأمرهم بتامسنا"[59]، وظل متمسكا بأصول المذهب، بل لم يتردد عن بثها في أعقابه. والتي تركت آثارها واضحة في السلوك التعبدي لأهل تامسنا، وهذا ما تناوله بالتفصيل أحد الباحثين[60]، من ذلك كثرة صلواتهم حيث كانوا يصلون خمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليل، والتشدد في بعض الأحكام كقتل السارق، وتحليل السمك قبل أكله بالذبح...إلخ[61] ،وهو عين التشدد الذي كان عند بعض فرق الخوارج.

هذا فضلا عن بصمات المذهب الصفري في الديانة البرغواطية، فإننا لا نعدم وجود تأثر بالدعوة الشيعية وانتشار التشيع بالمغرب، فمسألة التقية كانت حاضرة عند صالح بن طريف الذي عهد "إلى ابنه إلياس بديانته وعلمه شرائعه وفقهه في دينه وأمره ألا يظهر ذلك إلا إذا قوي وأمن"[62]. بل تسلل فكر المهدوية إلى تامسنا، حيث تخلى صالح عن ملكه لابنه "وخرج إلى المشرق ووعد أنه ينصرف إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتل الدجال"[63]. هذا إضافة إلى احتمال حضور مقالات الواصلية خاصة مع تتلمذ إبن طريف على عبيد الله المعتزلي

(56)- الطاهري، المغرب الأقصى ومملكة بني طريف، ص.132.

(57)- ابن حوقل محمد البغدادي، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938 م، ص.83.

(58)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص.276 - ابن عذاري،البيان المغرب، ج1ص.57.

(59)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص.276.

(60)- محمود إسماعيل، "حقيقة المسألة البرغواطية: أضواء جديدة"، ضمن مغربيات: دراسات جديدة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977، ص.50-53.

(61)- البكري، المسالك والممالك، ج2ص824 و825.

(62)- ابن خلدون، العبر، ج6، ص.277.

(63)- البكري،المسالك والممالك، ج2، ص820. ابن خلدون، العبر، ج6، ص.276.

القدري عند رحيله إلى المشرق[64].يقول الحميري في هذا الصدد "دولة برغواطة الذين تدينوا بديانة القدري صالح بن طريف البرغواطي"[65].

خلاصة القول، إن سلطة بني طريف تبنت مذهبا دينيا تلفيقيا جمع بين الفكر الخارجي الصفري وبعض اعتقادات الشيعة الإمامية وتعاليم المعتزلة ومسالك الزهاد الصوفية ... وبذلك مزج أئمة برغواطة بين خليط من المذاهب، ليصيغوا مذهبا محليا خاصا بهم، يختلف تمام الاختلاف عما كان سائدا في المشرق والمغرب، زد على ذلك الخصوصية اللسانية المتمثلة في اللهجة الأمازيغية، وهو ما قد يفسر التعميم والتعتيم والتحامل الذي تعرضت له إمارة تامسنا[66].

يورد البكري أن الديانة البرغواطية قد انمحت وقضي عليها من طرف الأمير الزناتي تميم اليفرني "وذلك بعد عشرين وأربعمائة من الهجرة، فغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم واستوطن ديارهم وانقطع أمرهم وعفا أثرهم ولم يبق لضلالهم باقية ولا من أواصر كفرهم آصرة"[67]. لكن هذا غير صحيح، فقد استمرت هذه النحلة إلى حدود مجيء المرابطين، حيث محا جيش أبي بكر بن عمر اللمتوني أثرها، وهو ما كلفهم استشهاد زعيمهم الروحي عبد الله بن ياسين في إحدى المواجهات[68].وبذلك تم دمجهم ضمن النسيج المرابطي في إطار تكوين الإمبراطورية الكبرى لحركتهم.

خامسا- المذهب الشيعي الإثناعشري بسوس:

إن الناظر في الخريطة السياسية لمغرب النصف الأول من ق.3هـ يلاحظ أن شطرا لا يستهان به من أجزائه كان تحت سلطة الأدارسة، ولذلك فإن هجرة علي بن ورصند الرافضي البجلي[69] إلى المغرب كانت بسبب وجود هؤلاء في الحكم، وإمكانية الاحتماء بهم، خصوصا وأنهم يمثلون أهل البيت وأئمتهم الذين يتولاهم، بعدما صعب عليه إظهار دعوته بإفريقية بنفس مستوى نشرها بالمغرب[70]، يقول ابن حزم "ثمَّ نَهَضَ هَذَا الْكَافِرِ إِلَى السوس فِي أقاصي بِلَاد المصامدة فأضلهم وأضل أَمِير السوس أَحْمد بن إِدْرِيس"[71]. وقد اختار ابن ورصند أرض السوس باعتبارها منطقة نائية لإشاعة

(64)- ابن أبي زرع، القرطاس، ص.130.

(65) - الحميري محمد بن عبد الله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، بيروت، الطبعة الثانية، 1980 م.ص435.

(66)- أنظر بتفصيل، الطاهري، المغرب الأقصى، ص.134 وما بعدها.

(67)- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص827.

(68)- ابن ابي زرع،القرطاس، ص131و132.وكذلك أنظرابن خلدون،العبر، ج6، ص279.

(69)- يعتبر مؤسس المذهب البجلي، وهو من مدينة نفطة التي تقع على بعد عشرين ميلا إلى الشرق من الحدود الجزائرية، وعلى بعد 63 ميلا إلى الجنوب من قفصة، أنظر وداد القاضي، "الشيعة البجلية بالمغرب الأقصى"، هامش ص.171.

(70)- القاضي، "الشيعة البجلية.."، ص.168.

(71) - أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.ج4، ص140.

قناعاته الدينية. ووجد في عصبة بني لماس ضالته ومرتكزه البشري "فدعاهم إلى سب الصحابة -رضوان الله عليهم- وأحل لهم المحرمات، وزعم أن الربا بيع من البيوع وزادهم في الآذان بعد "أشهد أن محمدا رسول الله"، "أشهد أن محمدا خير البشر"، ثم بعد "حي على الفلاح"، "حي على خير العمل، آل محمد خير البرية"[72]. وقد وصف ابن حوقل أصحاب ابن ورصند بأنهم موسوية. وأنهم مختلفون مع أهل السوس المالكيين إلى حد القتال، وأن " أهل السوس فرقتان مختلفتان مالكيون أهل سنّة، وموسويّون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب علي بن ورصند والغالب على الجميع الجفاء والغلظة في العشرة وقلّة رقّة الطبع، والمالكيّون من فظاظ الحشويّة وبينهم القتال المتّصل والدماء الدائمة، ولهم بالبلد مسجد جامع تصلّى فيه الفرقتان [فرادى] عشرة صلوات، إذا صلّت فرقة تلتها الأخرى بعشرة أذانات وعشر إقامات، وبالمالكيّين من جباسة الأخلاق وبحسب ما نالوا من رفاهة العيش نالوا من الجهل والطيش"[73].

أثناء زحف المرابطين انطلاقا من مواطنهم بالصحراء في اتجاه الشمال، فتحوا سجلماسة التي استدعاهم فقهاؤها لتخليصهم من حكام مغراوة، ثم استولوا على درعة واكتسحوا منطقة السوس، وتمكنوا من الاستيلاء على تارودانت رغم المقاومة التي أبداها البجليون، "فكان القضاء على الكيان السياسي البجلي سنة451هـ/1059م، ليضعف بذلك التيار العقدي الشيعي"[74]، وقتلوا من أهل تارودانت أعدادا كبيرة ورجع من بقي منهم إلى المذهب السني المالكي[75]، بالرغم من إشارة الإدريسي في ق.6هـ/ 12م، إلى أن " أهل السوس فرقتان، فأهل مدينة تارودانت يتمذهبون بمذهب المالكية [...] وأهل بلد تويوين يقولون بمذهب موسى بن جعفر، وبينهم أبدا القتال والفتنة وسفك الدماء وطلب الثأر،[...]بين مدينتي السوس - أعني تارودانت وتويوين- يوم في جنات وبساتين..."[76].

الخريطة مقتبسة من كتاب المغرب تحيين وتركيب، خريطة رقم13، ص157.

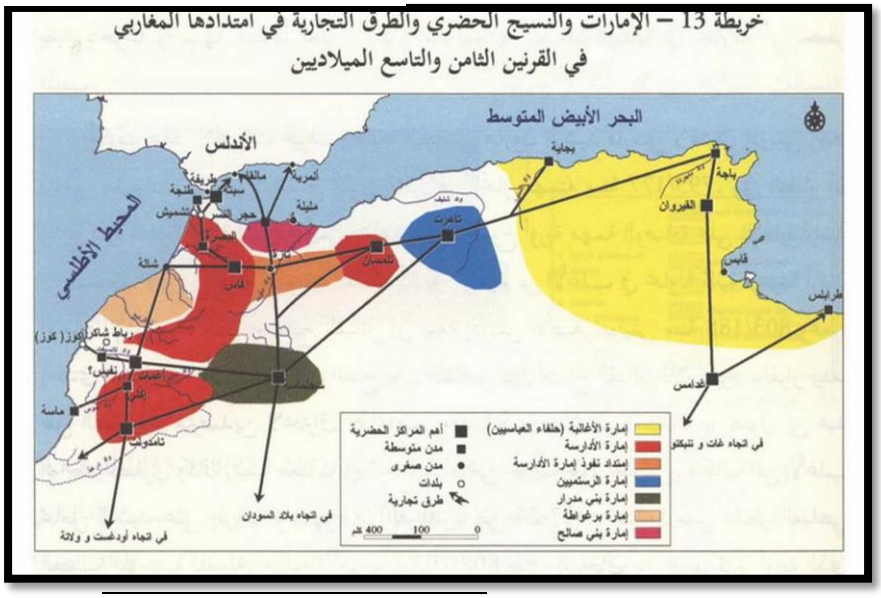

(72)- البكري، المسالك والممالك، ج2، ص.347.

(73)- ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص92.

(74) - المغرب تحيين وتركيب، ص249.

(75)- الناصري، الإستقصا، ج2، ص14، بتصرف.

(76)- الشريف الإدريسي محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1409 هـ.ج1، ص.228.

المحور الثاني- المذهب المالكي ومراحل تثبيته بالمغرب الوسيط:

أولا- انتشار المذهب المالكي في العهد المرابطي(448-541هـ/1056-1147م):

كان للمذهب المالكي حضور قبل مجيء المرابطين لكن في مواقع متفرقة من بلاد المغرب الأقصى وخصوصا في بلاد النكور السالفة الذكر ومع الأدارسة. لكن مع انطلاق الدعوة المرابطية شهد المذهب المالكي قوة اكتسحت جميع بلاد المغرب، وذلك بسبب تبني المذهب من قبلهم كمرجعية دينية تعود تفاصيله[77] لركب زعماء قبيلة لمتونة عند توقفهم في القيروان لما انقلبوا قافلين من الحج سنة 428هـ/1035م[78] وسنحت لهم الفرصة لحضور دروس في الفقه لأبي عمران الفاسي[79]، والذي كان له اهتمام بالبلاد البعيدة بحيث يرسل إليها من يقوم بنشر العلم كما حدث مع المرابطين[80]، حيث ذكروا له ما عليه قومهم من الجهل؛ واقترحوا عليه إرسال أحد طلبته لتعليم الناس، فطرح الأمر على تلامذته لكن استصعبوا الأمر؛ ما حدا به لتوجيه رسالة معهم لتلميذه وجاج بن زلو اللمطي[81]

(77) - أنظر القصة بتفاصيلها لدى كل من الناصري، الإستقصا، ج2ص6و7.و ابن خلدون، العبر، ج6، ص244. وعبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة،ج1، 2، 5/ الطبعة الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م ،ج3، 4/ الثانية، 1411 هـ - 1990 م.ج3، ص37. وأبو حفص عمر ابن الوردي (ت749هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، ص344

(78) - جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمة عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف الإسكندرية، مطبعة الإنتصار، 1991م، ص.278.

(79) - "أبو عمران الفاسي مهندس الخطوط العريضة لدولة المرابطين (368-430هـ)ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك ترجمة أبي عمران الفاسي قال(هو موسى بن عيسى بن أبي حاج وليم ابن الخير الغفجومي، وغفجوم فخدة من زناتة من هوارة...)"علي الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1432هـ/2011م، ص24. أنظر ترجمة أبي عمران الفاسي عند القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق ج 1 ابن تاويت الطنجي 1965 م، ج2، 3، 4 عبد القادر الصحراوي، 1966 - 1970 م، ج 5 محمد بن شريفة، ج 6، 7، 8 سعيد أحمد أعراب 1981-1983م، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، ج7، ص243.

(80) - علي الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ص25.

(81) - "علم من أعلام الثقافة المغربية، ورجل من رجال التصوف بسوس في النصف الأول من ق.5هـ ومعنى وكاك بالأمازيغية مشتق من - إيكيك- أي الرعد وتطلق وصفا للعالم الملم بالقرآن وأمور الدين[...]وحول نسبه الشريف فهو ينسب إلى الأدارسة، واسمه محمد وكاك بن زلو[...]توفي سنة445هـ/1054م"أحمد بومزكو والحسين الجهادي وعبد الله واكريم، معلمة المغرب، ج22، صص7609- 7611. ولمزيد من التفصيل أنظر المعلمة.

بسجلماسة، فجمع طلبته وأشار عليهم فتم قبول الطلب من طرف عبد الله بن ياسين[82].

اصطدم المذهب المالكي في مراحله الأولى بمجموع المذاهب السالفة الذكر من برغواطيين وخوارج وشيعة ...والتي كان لها نفوذ قوي في تلك المناطق، ودارت بينها وبين أصحاب تلك المذاهب المتمثلة في مجموعة من الإمارات معارك طاحنة لدرجة تم فيها فقد الزعيم الروحي للمرابطين (عبد الله بن ياسين)في إحدى المواجهات مع البرغواطيين بمنطقة تامسنا، وتم دفنه بكريفلة يقول بن خلدون"تُوفِّي عبد الله بن ياسين عَشِيَّة ذَلِك الْيَوْم وَهُوَ يَوْم الْأَحَد الرَّابِع وَالْعِشْرين من جُمَادَى الأولى سنة إِحْدَى وَخمسين وَأَرْبَعمِائَة وَدفن بِموضع يعرف بكريفلة وَبني على قَبره مَسْجِد وَهُوَ مَشْهُور بهَا إِلَى الْآن"(83).

إن دواعي انتشار المذهب المالكي بربوع الأقطار المغربية إبان الفترة المرابطية ليس راجع بالأساس لقوة السيف وحده، ولكن هناك عدة مؤثرات ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في انتشار مذهب مالك، يمكن إجمالها كالآتي(84):

أولا- شخصية صاحب المذهب نفسه، إذ يعتبر الإمام مالك ذا باع طويل ونظر ثاقب في الاجتهاد، وله سلوك وسمة متمسك فيها بالسنة ومقاومة للبدعة. وهو ما تحلى به أتباعه المرابطين في محاربتهم للمذاهب التي كانت سائدة في المغرب.

ثانيا- التشابه الطبيعي بين البيئة الحجازية والبيئة المغربية في البساطة والميل إلى الطبيعة الفطرية؛ كما أنه مذهب عملي يعتد بالواقع ويترك التكلّف، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم.

ثالثا- قوة الرجال الذين حملوا راية المذهب في هذه الربوع، واستماتتهم في الذود عن أصوله، خصوصا وأنهم رحّل؛ ونحن نعلم أن الرحّل أشد بأسا وقوة من المستقرين. أضف إلى هذا الطبيعة الصحراوية لديهم وما أكسبتهم من قوة وصبر.

رابعا- رحلات المغاربة إلى الحجاز بسبب روابط الركن الخامس (الحج)؛ و كان مالك موجود بالمدينة فكان لابد للمغاربة من التعريج على المدينة في الحج وهو ما جعل الاتصال بالإمام مالك ممكن وميسور.

يقول محمد المصلح "إن الأسباب الحقيقية وراء انتشار المذهب المالكي في بلدان الغرب الإسلامي تعود أساسا إلى خصائص ومقومات كامنة في المذهب نفسه أصولا وفروعا، يمكن إجمال أهمها في العناصر الآتية:جمع المذهب

(82) - الزعيم الديني لدولة المرابطين هوعبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي أصله من قرية تماماناوت في طرف صحراء غانة، المرجع السابق نفسه، ص27.

(83) - ابن خلدون، العبر، ج2، ص19.

(84) - عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1987م ، صص29 - 38. لمزيد تفصيل حول أسباب تمسك المغاربة بالمذهب المالكي يراجع كتاب شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي صص.90 - 195.

بين فقه المدينة وعقيدة أهل السنة والجماعة، وموقفه من البدع والمبتدعة"(85).

على أي لما أقبلت الدولة المرابطية رأينا المغاربة يتحولون كليا إلى هذا المذهب ويدينون به[86]، ويحكمونه في سائر مرافق الدولة، ويعم المغرب من أقصاه إلى أقصاه، بعد أن تم لهم القضاء على جميع الطوائف والنحل التي كانت متفرقة في سائر البلاد. وبالتالي توحيد أقاليمه وقطع دابر الخلافات المذهبية والسياسية التي طالما تسببت في كثير من الحروب والفتن[87]. كما تم إعطاء الأولوية للمذهب وعلمائه وكانت لهم الحظوة عند السلطان، لدرجة لم يكن يتحرك إلا بعد مشاورة علماء المذهب كما حدث في دخول الأندلس، ومثال على ذلك قول المراكشي في المعجب "لم يكن يقرب من أمير المسلمين، ويحظى عنده إلا من علم الفروع، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها، ونبذ ما سواها وكثر ذلك"[88].

بل نجد من أشكال ازدهار المذهب في الحقبة المرابطية، دعم السلطان للمذهب وإشراك أهل العلم، وإعظام العلماء[89]،وهو ما أجمله الصيرفي بقوله" يواصل الفقهاء، ويعظم العلماء، ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها بآرائهم، ويقضي على نفسه وغيره بفتياهم، ويحض على العدل ويصدع بالحق، ويعضد الشرع"[90]، وكذلك طلب الخلفاء للعلم وحرصهم الشديد على تلقيه، وجمعهم للكتب وأمرهم بالتأليف.

ومن تم لاحظنا بداية استقلال المغرب بعلماء محلين في التأليف والفتيا، بل وزاحموا غيرهم من علماء الأقطار. يقول عمر الجيدي "ولم يعد المغاربة في هذا العصر يعتمدون على كتب غيرهم في المذهب، بل استقلوا بالتأليف وزاحموا غيرهم فيه، وظهرت طائفة مهمة من مؤلفاتهم في هذا المذهب، كما زاحموا غيرهم في وظائف الدولة من قضاء وفتوى وتدريس"[91]، بل إننا نجد مناصرة المذهب وفي المقابل مضايقة مخالفيه[92] من أهم العوامل لفشو المذهب المالكي.

(85) - محمد المصلح، "دور العقيدة السنية في ترسيخ جذور المدرسة المالكية بالغرب الإسلامي"، مجلة الفرقان،العدد63،السنة2009م ص53و54و55 بتصرف.

(86) - يرجع علال الفاسي السبب في تبني المذهب إلى استيعابه من طرف السكان الأصليين.أنظر:

, " Pourquoi Le Malékisme"(Hassan Aourid, Zamane, N°56, Juillet 2015, p 49).

(87) - عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة والهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى1993م، ص21.

(88) - عبد الواحد المراكشي(ت647)،المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، الطبعة الأولى 1426هـ/2006م ج1، ص131.

(89) - المراكشي، المعجب،ج1، ص131.

(90) - عبد الله عنان، دولة الإسلام، ج3، ص51.

(91) - عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ص21.

(92) - محمد شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، صص163 - 186.

مجلة القانون و المجتمع
العدد السابع / اكتوبر 2022

خريطة مقتبسة من كتاب المغرب تركيب وتحيين، الخريطة رقم 14، ص169

الموحدي[93] (514-668هـ/ 1120-1269م)[94]:

شهد المذهب المالكي انتشارا قويا بالغرب الإسلامي إبان الفترة المرابطية، وأصبح له علماء أجلاء يدافعون عنه. لكن بدخول المهدي بن تومرت[95] سنة 515هـ/1121م (ولد في473هـ/1080م)[96] ستبدأ فتنة تعصف بالحالة السياسية للمغرب الأقصى؛ وذلك بعد تزعم هذا الأخير لدعوة مناهضة للحكم المرابطي. حيث قدم دعوته في الأول على أساس تغيير المنكر، لينتقل بعد اشتداد عوده إلى ادعائه للمهدوية وأنه معصوم؛ أي السيد الذي لا يمكن منازعته والقائد الذي لا يخطئ[97]. أطلق ابن تومرت على نفسه اسم محمد بن عبد الله كما قام بهجرة محاكاة لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم[98].

سيعرف علماء المالكية محنة شديدة، انطلاقا من المناظرة التي تمت في البلاط المرابطي[99].أما اشتداد المحنة فسيكون بعد تمكن الدولة الموحدية من بسط نفوذها في

(93) - "سمى أتباعه بالموحدين لأن من خالف طريقته ليس بموحد وجعل ذلك ذريعة إلى الإنتزاء على ملك المغرب".الناصري، الإستقصا، ج1، ص196.

(94) - محمد رابطة الدين، "من صدى توجيهات ابن تومرت في الحياة اليومية بمجال سيادة الموحدين :- قراءة في مسألة القبلة –"، أعمال ندوة الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حسن حافظي علوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ندوات ومناظرات رقم157، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م، ص147.

(95) - هو أبو عبد الله محمد بن تومرت البربري المصمودي، الهرغي، الخارج بالمغرب، المدعي أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي. أنظر ترجمته لدى كل من المراكشي، المعجب، ص136. ابن الأثير، الكامل، ج7، ص654.عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ص58. ومحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ج19، ص539. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ص58.

(96) - ذكر المؤرخون عدة روايات تدل على اضطرابهم في تحديد سنة الولادة، فمنهم من قال473هـ/1080م، و منهم من قال 485هـ /1092م، ومنهم من قال 469هـ/1076م ، وقد رجح الدكتور عبد المجيد النجار أنه ولد سنة (473هـ/1080م)،أنظر علي الصلابي، دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، عمان،ص9. وعبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط.الثانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن-فرجينيا، 1415هـ، ص57.

(97) - حمد صالح السحيباني، "الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت (دراسة تاريخية)"، مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، العدد 6 السنة2006م، من ص533إلى ص586 .وأنظر البيدق أبي بكر بن علي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط، 1971م،ص11و16و34.الناصري، الإستقصا،ج2، ص80.

(98) - محمد القبلي، "انهيارالموحدين بدأ منذ معركة العقاب"، مجلة زمان، بالعربية ، العدد37نونبر2016من ص42إلى ص47.

(99) - أنظر تفاصيلها لدى الناصري، الإستقصا، ج2، من ص82إلى ص85.

الجانب السياسي إذ قاموا بتبني عقيدة جديدة وإحراق كل كتب فروع المذهب المالكي؛ يقول شرحبيلي "تغير الأحوال السياسية بمجيء الدولة الموحدية كان صدمة للفقه المالكي أصولا وفروعا، ففي الأصول غير الموحدون العقيدة، وحاربوا الفروع ، داعين إلى الاحتكام للحديث"[100].

لكن ابن تومرت رام ضرب العقيدة السنية لعلماء المالكية قبل التوجه وضرب فروع المذهب، أولا لأنهم كانوا قليلي الخبرة بعلم الكلام ولم يكونوا يخوضوا في دقائق مسائله؛ وبالتالي لما قام بزعزعة عقائد الناس سهل عليه أمر المذهب وأمر الدولة التي تقيم مشروعيتها عليه[101]. لم يكن من فقهاء المرابطين من يعرف قدر وبراعة ابن تومرت وتبحره في علوم الدين سوى فقيه أندلسي اسمه مالك بن وهيب قاضي مراكش؛ والذي أشار على أمير المسلمين بقتله لأنه رجل يريد الفتنة والوصول إلى السلطة والإطاحة بحكم المرابطين[102].

عمد المهدي إلى تأليف كتابين هامين الأول في الأصول وهو كتاب أعز ما يطلب ووضعه في الأصول والمعتقد، أما الكتاب الثاني فهو كتاب الموطأ أو موطأ المهدي؛ وهذا الكتاب وضعه في جانب العبادات والمعاملات والحدود أو بمفهوم الاصطلاحي للفقهاء في علم الفروع[103]، وتم فيه تبني منهج الاجتهاد بالنظر للقرآن والحديث. يقول عبد الله كنون "إن الموحدين كانوا يدعون إلى الاجتهاد[...] خلافا لما شاع من أنهم كانوا على مذهب الظاهرية[104][...]وليس يكفي أن يظهر المنصور إعجابه بابن حزم[105] لنحكم بأنه وقومه على مذهبه"[106]؛ وبالتالي ففقهاء المالكية عاشوا معاناة شديدة مع المذهب الجديد والذي عمل على ضرب أصولهم المتمثلة في اعتقاد أهل السنة والجماعة وفي جانب الفروع، بل كانت مراقبة صارمة لأهل العلم لدرجة أن "إشراف الموحدين على الحياة الدينية كان شاملا بفضل عيونهم المنبثة في كل مكان ترصد أقوال وأفعال

(100) - شرحبيلي، تطور المذهب المالكي، ص9.

(101) - المرجع نفسه، ص105.

(102) - عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ص171.

(103) - المرجع نفسه،ج3، صص199- 203.

(104) - "يعود المذهب الظاهري إلى عدد من فقهاء القرن الرابع الهجري أشهرهم الإمام داود الأصفهاني (ق3هـ)الذي اعتمد في منهجه الفقهي على الالتزام بحرفية النصوص الشرعية، وسرعان ما انتقل إلى الأندلس على يد عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال(ت272هـ/935م)وهو تلميذ داود الظاهري، وأبو الخيار مسعود بن سليمان(ت426هـ/1035م)وهو من شيوخ ابن حزم"محمد المغراوي،"الموحدون والمذهب المالكي"، ندوة أعمال الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ندوات ومناظرات رقم157، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1429هـ/2009م، ص194.

(105) - "أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم(384أو383-456هـ/994-1064م)يعتبر جامع أصول المذهب الظاهري والمتوسع في أحكامه. للتوسع حول ابن حزم ومذهبه ينظر: عبد الرحمان دمشقية، موقف ابن حزم من المذهب الأشعري- منشد مجيد خلف، ابن حزم الأندلسي وجهوده في دراسة العقائد والطرق الإسلامية- محمود علي مكي ،ابن حزم وعمل قرطبة الفقهي" المرجع السابق نفسه، ص194و195، بتصرف.

(106) - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2. سنة1961م، ص124.

الصوفية وأهل العلم وتبلغ عنهم متسببة أحيانا في إلحاق الأذى ببعضهم"[107].

امتحن في هذه الفترة مجموعة من المالكية لتمسكهم بالمذهب المالكي في الفروع وخصوصا زمن يعقوب المنصور الموحدي(580-595هـ/1184-1199م)، نذكر منهم على سبيل المثال الفقيه أبي بكر بن علي التجيبي(ت596هـ/1099م) الذي وشي به للمنصور، وكان تأثير النكبة عليه قوي، إلى حد اعتزاله الناس ولزوم بيته. يقول محمد المغراوي "ويظهر أن المنصور قد ندم على تعريضه للإذاية فحاول استرضاءه، فكانت النتيجة أن أصيب بخلل عقلي عندما رأى من نافذة بيته الشرطة قادمين لاستدعائه للقاء الخليفة"[108]؛ والفقيه أبي محمد عبد الكبير الغافقي(ت617هـ/1220م)[109] أيضا ممن توبع "لكنه اختفى عن الأنظار مدة تلك المحنة فنجا من الأذى"[110]؛ والفقيه أبي الحسين بن زرقون(ت621هـ/1224م) و"كان شيخ المالكية، ومن كبار المتعصبين للمذهب"[111] وقد أحرق الموحدون مكتبته التي ورثها عن أبيه والتي كانت تساوي مالا جسيما[112].

وفي هذا الصدد يعلن عبد الواحد المراكشي أن قصد المنصور كان "هو محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على ظاهر القرآن والحديث. وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، إلا أنهما لم يظهراه، وأظهره يعقوب"[113]؛ وبالمقابل شجع على الاهتمام بالكتاب والسنة والاعتماد عليهما مباشرة[114]، وأعطى أمره بجمع أحاديث في باب الصلاة من المصنفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن البزار، وسنن الدارقطني وسنن البيهقي ومسند ابن أبي شيبة(115)، على منوال ما فعل ابن تومرت في باب الطهارة[116].

ولعل فعل المنصور هذا راجع بالأساس إلى ما "سجل أبوبكر بن العربي (ت543هـ/1148م) في عواصمه وقواصمه واقع علوم الدين في تلك المرحلة بقوله: ماتت علوم الدين إلا عند من حيي بشيء من الحديث [...]و ظهر الجهل، فكل من تخصص لم يقدر على أكثر من أن يتعلق بالظاهر[...]حدثت حوادث لم يلقوها في

(107) - محمد فتحة،"الموحدون والمالكية "،ندوة الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حسن حافظي علوي،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ندوات ومناظرات رقم157، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،الطبعة الأولى 1429هـ/2009م، ص167.

(108) - المغراوي، "الموحدون والمذهب الظاهري"، ص207.

(109) - المقال السابق نفسه،ص207.

(110) - المغراوي، "الموحدون والمذهب الظاهري"، ص 207.

(111) - المغراوي، "الموحدون والمذهب الظاهري"، ص206.

(112) - المقال السابق نفسه، ص207.

(113) - المراكشي، المعجب، ص204. لمزيد من التفصيل أنظر المصدر نفسه، صص202- 204.

(114) - محمد المغراوي، "الموحدون والمذهب الظاهري"، ص205.

(115) - المراكشي، المعجب،ص203.

(116) - محمد المغراوي، "الموحدون والمذهب الظاهري"، ص205.

منصوص المالكية، فنظروا فيها بغير علم فتاهوا، وجعل الخلف منهم يتبع السلف، حتى آلت الحال ألا ينظر إلى قول مالك وكبراء أصحابه، ويقال: قد قال في هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة، وأهل طلبيرة، وأهل طليطلة، فانتقلوا من المدينة وفقهاءها إلى طلبيرة وطريقها"[117].

اعتمد الموحدون على مجموعة من الأساليب للحد من المذهب المالكي[118]، منها أسلوب المناظرة بين المالكية والعلماء الذين يأخذون بالحديث في الاستدلال والاستنباط، كذلك الدعوة إلى تأصيل دراسة الحديث؛ ومن بين الأساليب الدعوة إلى تأصيل دراسة أصول الفقه والاجتهاد انطلاقا من الكتاب والسنة، وحمل القضاة والفقهاء على استخراج الأحكام من الكتاب والسنة والإجماع فقط ومن امتنع يسجن ويعذب حتى يرجع عن فكرته.

بالمقابل لم يقف علماء المالكية مكتوفي الأيدي بل كانت حملة ضد المشروع الموحدي، ومن الفقهاء الذين تصدوا للذود عن حياض المذهب المالكي نجد الفقيه أبوبكر بن أبي جمرة المرسي(ت599هـ/1202م)، حيث ألف كتابين في الذود عن الفروع في المذهب المالكي الأول بعنوان "إقليد التقليد المؤدي إلى النظر السديد" و"نتائج الأبكار ومناهج النظار في معاني الآثار"؛ وكذلك الفقيه أبو الحسن بن عمر الوديشي (ت609هـ/1194م) تصدى للمشروع الموحدي بوضع كتابين أيضا في الفقه المذهبي وهما "المسالك للتفقه في مذهب مالك" أخرجه في عشر مجلدات، والثاني "الترصيع في شرح مسائل التفريع" شرح به تفريع بن الجلاب.

ومن المسائل التي أثارت مجموعة من الباحثين هي علاقة المذهب الظاهري بالموحدين[119]، وعليه فلم يكن الانتماء للمذهب الظاهري فيصلا بين أنصار السلطة الموحدية وخصومها من المالكية، إذ أن أفدادا من الفقهاء وصفوا فقط بالميل إلى الظاهر أو تغليبه أو العناية بالحديث على جهة التفقه، ما جعلهم يستفيدون من الدعم الموحدي وكذلك المفتين والقضاة الذين أبدوا تجاوبا مع المشروع الموحدي وسلكوا سبيل التحرر المذهبي؛ غير أن هؤلاء بالمقابل ظلوا عرضة لتحامل فقهاء المالكية. كما عمل المنصور على جذب المحدثين من المالكية من غير فقهاء الفروع فكان أن انضم إلى مشروعه عدد منهم، كان من أظهرهم

(117) - عمار الطالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص492. وعلي الإدريسي،"موقع حركة الموحدين الأولى في الصراع المذهبي"، ندوة أعمال الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حسن حافظي علوي،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ندوات ومناظرات رقم157، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،الطبعة الأولى 1429هـ/2009م، ص176و177.

(118) - وهنا وجب التنبيه حسب قول المغراوي "لا نلمس في المشروع التومرتي أي نوع من الرفض للمذهب المالكي الأصلي المعتمد على الحديث النبوي وعمل المدينة". محمد المغراوي،"الموحدون والمذهب الظاهري"، ندوة أعمال الصراع المذهبي ببلاد المغرب،رقم157.

(119) - أنظرمحمد المغراوي، "الموحدون والمذهب الظاهري". وإبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ،ج1،ص305ومابعدها.

المحدث أبو الحسن بن القطان[120] (ت627هـ/1230م)والذي ساهم في إثراء التوجه الجديد بوضع كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند تم جمعه من المسانيد والمصنفات ورتبه على أبواب الفقه؛ وكذلك المحدث أبي الخطاب بن واجب (ت614هـ/1217م)؛ والأخوين ابني حوط الله أبي محمد (ت612هـ/1215م) وأبي سليمان(ت621هـ/1224م)، وتقلد ثلاثتهم قضاء كبار حواضر المغرب والأندلس؛ إلا أن صلة هؤلاء المحدثين ظلت وثيقة بالمذهب المالكي ولم يختلفوا مع المالكية في مواقفهم إزاء الظاهرية .

لعل أقصى ما كان يرمي إليه الخليفة الموحدي بحسب ما دلت عليه الشواهد وقامت عليه القرائن، أن يحد من نفوذ فقهاء المالكية الفروعية، الذين ما انفكوا يزاحموا السلطة السياسية القائمة بما كانوا يمثلونه من سلطة علمية نافذة؛ بدليل أن المنصور في حين ضيق على الفقهاء الفروعية من المالكية سعى في الوقت نفسه إلى استدناء نظرائهم من الفقهاء المحدثين وكل هؤلاء من المالكية كما أسلفنا الذكر.

إن توجه السلطة الموحدية إلى بث الاهتمام بالنص على حساب الرأي، وبالتأصيل على حساب التفريع، - ولئن استفادت منه الظاهرية التي انتعش حضورها لبعض الوقت- ؛ فإن المالكية أيضا أخذت بحظها من هذا التوجه إذ بدأ الاهتمام بالدراسات الأصولية وانصراف العناية إلى التأصيل الفقهي مما كان له أثر ملحوظ في إثراء منظومة الفقه المالكي وطرح وصف الجمود عنها.

ثالثا- المرينيون[121] وإعادة الريادة للمذهب المالكي :

فقد الموحدون هيبتهم وسيطرتهم بعد معركة العقاب سنة(609هـ/1212م)[122]، وبعدما تجزأت الدولة الموحدية لأسباب عسكرية واقتصادية قامت على أنقاضها دول وإمارات عديدة، منها الدولة المرينية والذين لم تكن لهم في بداية أمرهم غاية سياسية[123] يسعون لتحقيقها أو مذهب ديني يدعون إليه خلافا للموحدين والمرابطين؛ وإنما كان اندفاعهم نحو المغرب لأسباب اقتصادية صرفة تجلت في الانتفاع بخيراته وفق المصادر التاريخية[124].

(120) - المرجع نفسه، ج1، ص353.

(121) - أنظر أصلهم وبدايتهم، لدى الناصري، الإستقصا،ج3، ص3و4.وإبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص.8ومابعدها.

(122) – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الاولى،1985م، ص262و263. وعبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج4، صص301- 325.

(123) - روجي لو تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدارالبيضاء، ط.الثانية، 1419هـ/1998م، ص91.

(124) - الناصري، الإستقصا، ج3، ص4و5و6.

أما أهدافهم السياسية فقد ظهرت في عهد قائدهم أبا بكر بن عبد الحق[125]، إذ كان أول من جند الجنود وضرب الطبول، وقد شهدت فترة حكم بنو مرين الزناتيون تطورا هاما جدا في المجال العلمي وتجسد ذلك من خلال بناء المدارس وتأسيس المكتبات وتشجيع العلماء ببناء المراكز الخاصة بهم وبطلبة العلم وتوقيف الأوقاف لفائدة الكراسي العلمية.

تتحدث كتب التاريخ عن أبي الربيع سليمان وأبي الحسن المريني وأبي عنان الذين رفعوا من شأن العلم وطلابه في مختلف العلوم وخصوصا المذهب المالكي، وأعادوا له الاعتبار كما كان شأنه في الفترة المرابطية؛ يقول محمد المنوني "المغرب رجع أوائل العصر المريني إلى المذهب المالكي ولهذا كان هذا المذهب هو المسيطر في ميداني التشريع والعبادات"[126]. والذين ركزوا بالأساس على تدريس أمهات الكتب في الفقه المالكي ابتداء من كتاب الموطأ للإمام مالك، إلى آخر ما كتبه المالكية البارزين كمدونة سحنون ورسالة ابن أبي زيد القيرواني؛ والذي كان يلقب بمالك الصغير.

وكما هو ملاحظ كانت تعمل هذه المدارس المرينية تحت وصاية المذهب المالكي والذي اتخذته الدولة المرينية مذهبا رسميا لها. يقول المنوني "ويظهر أن يعقوب بن عبد الحق حاول أن يعمم تطبيق المذهب المالكي على سائر المحاكم المغربية"[127]، وخصوصا أنها كانت تفتقد للشرعية في الحكم لعدم انتمائها للنسب الشريف؛ وتوطد المذهب المالكي كما أسلفنا الذكر بربوع البلاد عكس الفترة الموحدية التي حاولت تقليص نفوذه وتقويض دعائمه في الفقه الفروعي بإحراق كتب الفروع.

مزامنة مع الدعم الذي لقيه المذهب المالكي كان من البديهي أن تنشط الدراسات الفقهية المالكية في هذا العصر نظرا لتشجيع الدولة للفقهاء وتذليل الصعاب أمامهم[128]، وتوفير الوسائل اللازمة لنهضتهم، فكثرت بذلك التآليف الفقهية، فعلى سبيل المثال لا الحصر اهتم العلماء بشرح أمهات الفقه المالكي كالمدونة، حيث منحوها عناية خاصة ورجحوها على غيرها من المصنفات وذلك يتجلى في كثرة الشروح والاختصارات والطرر التي وضعت عليها.

ومن التآليف التي اهتمت بالمدونة نذكر كتاب الطرر على المدونة للفقيه أبي إبراهيم الأعرج من أعلام فاس البارزين (ت683هـ/1284م)؛ وحاشية على المدونة للفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي الفاسي(ت689هـ/1290م)، يقول عنه المنوني "يعتبر مع سابقه أبي إبراهيم من الرائدين الأوليين لبعث المذهب المالكي في المغرب المريني"[129]، وتقييدا عليها لابن أبي يحي إبراهيم بن عبد الرحمان التسولي التازي

(125) - الناصري، الإستقصا، ج3، ص5.

(126) - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، كلية الآداب بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم20، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1420هـ/2000م، ص153.

(127) - المرجع السابق نفسه،ص153.

(128) - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص234.

(129) - المرجع نفسه، ص294.

(ت749هـ/1348م)[130]...؛ وغيرها من التآليف المالكية التي صنفت في الفروع.

أما بالنسبة للمؤلفات في أصول المالكية فهي كثيرة جدا في هذا العصر نكتفي ببعض النماذج، ومن أهمها ويشتمل على ألف ومائتي قاعدة للمذهب المالكي، وهي أصوله التي بني عليها كتاب "القواعد" لمؤلفه محمد بن أحمد المقري التلمساني الأصل الفاسي الدار، قاضي مدينة فاس(ت858هـ)؛ كذلك نجد "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" و"تقريب الوصول إلى علم الأصول" كلاهما لأبي القاسم محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت741هـ)، وله عدة مؤلفات أخرى كثيرة[131]؛ كما صنفت مصنفات في النوازل أيضا منها "الأجوبة" ويعرف باسم "الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير" لأبي الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي الشهير بالصغير(ت719هـ)[132]، وكذلك الموسوعة العلمية النفيسة "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" لأحمد الونشريسي التلمساني (ت914هـ/1508)[133].

ذكرنا هذه المجموعة من المؤلفات والعلماء للتدليل على القوة التي أصبح يتسم بها المذهب المالكي في الحقبة المرينية سواء في الأصول أو الفروع في الحقبة المرينية، بحيث لم يعد له منافسة من طرف أي مذهب ديني آخركما هو الشأن في زمن الموحدين. وكيف أصبح العلماء يتبحرون في علم الفروع بدون مضايقة من الجهات الرسمية؛ هذا بالإضافة للإقبال العظيم على العلوم الدينية بوجه عام بسبب إنشاء المدارس والمعاهد[134].

يقول إبراهيم حركات "أصبح المذهب المالكي في هذا العهد كامل السيادة ولم يعد ينافسه أي مذهب ديني آخر، ولكن اتجاه الفقهاء ذهب نحو التأليف في الفروع، ولم يعد ثمة ميل إلى الاجتهاد إلا في إطار محدود، بل تحدد الاتجاه في تأويل أقوال مالك وأصحابه والتبسط في شرح المتون تدريسا وتأليفا[...]والذي كان كرد فعل للحجر الطويل على المذهب المالكي أيام الموحدين"[135].

بل لقد ظهر هذا الارتياح على لسان بعض الشعراء أيضا، فها هو مالك بن المرحل[136] يقول:

مَذْهَبِيَ تقبيل خدّ مذهب — سَيِّدي مَاذَا تَرى في مَذْهَبِي؟

لا تُخَالِفْ مَالِكا في رَأْيه — فبه يَأخُذ أَهل المغربِ

(130) - المرجع السابق نفسه، ص297.

(131) - ابن فرحون إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة،ج2، ص274.

(132) - المصدر نفسه،ج2، ص121.

(133) - ولمزيد من التفصيل حول المؤلفات والمصنفات والعلماء يراجع. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب. وأحمد بابا التمبوكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج. ومحمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.

(134) - إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ،ج2، صص133-136.

(135) - المرجع نفسه،ج2، ص145و146.

(136) - المنوني، ورقات في حضارة المرينيين، ص405.

ويقول[137]:

وما أنا إلا عالم كل عالم ففي الشعرحسان وفي الفقه مالك

وقد ورد في كتاب المغرب تحيين وتركيب بأن الفترة الموحدية تم فيها فرض الاتجاه الحديثي وهو ما دفع إلى قلة التأليف في الفروع، وكذا في أدب الفتاوى والنوازل والحسبة؛ "أما في العصر المريني فقد عاد الفقهاء إلى تقاليدهم القديمة وأحيوا فقه الفروع على نطاق واسع مع الإقبال على التأليف في النوازل والفتاوى، وهكذا نشطت ظاهرة الإفتاء مما سيسمح بظهور ما عرف بالعمل الفاسي كشكل من أشكال الاجتهاد [...]ويعتبر كتاب المعيار المعرب للونشريسي خير شاهد"[138] على ذلك.

خاتمة

يبدو بأن المغرب عانى في البدايات الأولى بعد دخول الإسلام من كثرة الانقسامات والتيارات ذات التوجهات الإيديولوجية، وهو ما أفرز لنا مجموعة من الدويلات. لكن مع بداية السيطرة المرابطية سيظهر ذلك التوجه المتبنى من طرف الدولة وهو ما سيحقق استقراراً نسبياً لكل دولة ستحكم فيما بعد، وبالتالي عمل المرابطون على تبني المذهب المالكي ودعمه بشتى الوسائل. ثم مع قدوم الموحدين سينبثق مذهب جديد في الاعتقاد وهو المذهب التومرتي، والذي سيكون المذهب الأشعري أحد ركائزه، هذا بالإضافة لدعوتهم للرجوع في الفقه إلى المصادر الأولى أي الكتاب والسنة، وبالتالي سيعاني الفقه الفروعي المالكي من مضايقات الموحدين وذلك لما رأوه من تشدد في فقهاء الفروع وتركهم للنص على حساب أقوال الفقهاء.

كانت هذه إرهاصات أولى لتكوين النموذج المغربي. ومع الدولة المرينية ستتضح المعالم الأساس في التوجه المغربي، بحيث أعادوا الريادة للمذهب المالكي في الفقه وبالتالي مكنهم من احتواء الفقهاء المالكية الذين كان لهم تأثير في المجتمع المغربي، خصوصا وأن المرينيين استفادوا من نموذجين يبينان بوضوح عاقبة الصراعات الإيديولوجية والتي تؤدي في الغالب للإطاحة بالدول. "وهكذا حسمت مسألة الاختيارات ...المذهبية منذ العصر المريني والتزم بها كل من المجتمع والدولة كما مثلت أرضية أساسية للتوافق بين الحاكم والمحكوم"[139].

(137) - المرجع نفسه، ص405.

(138) - القبلي،المغرب تحيين وتركيب، ص252و253.

(139) - المرجع نفسه، ص257.

لائحة المصادر والمراجع

أ - المصادر:

البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992 م.

البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

ابن حزم علي أبو محمد الأندلسي الظاهري (ت 456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1321هـ.

الحِميرى محمد بن عبد الله (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، بيروت، الطبعة، الثانية، 1980 م.

ابن حوقل محمد أبو القاسم البغدادي(ت. بعد 367هـ)، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938 م.

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988 م.

ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثانية، 2000م.

ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

الشريف الإدريسي محمد بن محمد الطالبي(ت560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ.

الشهرستاني محمد أبوالفتح (ت548هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي وشركائه، 1395هـ/1975م.

ابن عذاري أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو 695هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1983م.

ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الاولى،1985م

ابن فرحون إبراهيم بن علي (ت799ه)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون سنة النشر.

القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544ه)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج1تحقيق ابن تاويت الطنجي، 1965م، ج2، 3، 4، تحقيق عبد القادر الصحراوي، 1966- 1970م، ج 5، تحقيق محمد بن شريفة، ج6، 7، 8 تحقيق سعيد أحمد أعراب 1981-1983م، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى.

ابن القطان علي الفاسي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

المراكشي عبد الواحد بن علي (ت 647ه) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين)، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 1426ه - 2006م.

مؤلف مجهول (ت.ق 6ه)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986 م.

الناصري أحمد بن خالد (ت1315ه)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997م.

ابن الوردي عمر بن مظفر (ت749ه)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1417ه - 1996م.

ب - المراجع:

أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2012م.

أميلي حسن و سراج أحمد، فضالة أو عودة الذاكرة، جامعة الحسن الثاني (كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية-مركز الدراسات والبحوث التاريخية والأثرية)، مطبعة الرسالة، الرباط، يناير2000م.

جلاب حسن ، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، منشورات الجامعة ، السلسلة الأدبية1، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدارالبيضاء، الطبعة الثانية، مارس 1985.

جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف بالإسكندرية، مطبعة الانتصار، 1991م.

الجيدي عمر، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة والهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1993م.

الجيدي عمر، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987م.

حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون سنة النشر.

حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،1420هـ/2000م، ج.1و2.

روجي لوتورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1419هـ/1998م.

السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1982م.

شرحبيلي محمد بن حسن، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب،1421هـ/2000م.

الصلابي علي محمد، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي رقم5 (دولة الموحدين)، دار البيارق للنشر، عمان، بدون تاريخ.

الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة1432هـ/2011م.

الطاهري أحمد، المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية خلال القرون الأربع الهجرية الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2005/1426م.

الطالبي عمار ، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م،ج2.

العبيدي إبراهيم خلف ، البرغواطيون في المغرب 127-542هـ، منشورات الجامعة، السلسلة التاريخية رقم1، الطبعة الأولى،1983م.

عشاق مولود، حركة المتنبئين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، دار النشر الأحمدية، الدار البيضاء، 1999-1419هـ.

عنان محمد عبد الله (ت1406هـ)، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ج 1، 2، 5، الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997 م ، ج، 4-الطبعة الثانية، 1411 هـ - 1990 م.

القبلي محمد(تنسيق)، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، من إنجاز مجموعة من الباحثين، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط ،الطبعة الأولى، 2011م.

كعواس ميلود ، إمارة النكور ودورها في خدمة المذهب المالكي، منشورات المجلس العلمي المحلي لإقليم الناظور، مطبعة القبس، الناظور، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م.

مبارك رضوان، المذهب المالكي بالمغرب في عهد المرابطين و الموحدين، رسالة جامعية لنيل د.د.ع. في التاريخ، كلية الآداب- الرباط ،1995-1996م.

محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1985م.

محمود إسماعيل عبد الرزاق، "حقيقة المسألة البرغواطية: أضواء جديدة"، ضمن مغربيات: دراسات جديدة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977م.

المنوني محمد ، ورقات عن حضارة المرينيين، كلية الآداب بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم20، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1420هـ/2000م.

النجار عبد المجيد، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، الطبعة الثانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا، الطبعة الثانية، 1415هـ.

الهنتاتي نجم الدين ، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف ق11/5م، تبر الزمان ، تونس، 2004م.

ج – المقالات والندوات:

حافظي علوي حسن، "الدعوة الشيعية ببلاد المغرب"، أعمال ندوة المذاهب الإسلامية من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 147، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، الطبعة الأولى 2008/1429م.

حناوي محمد ،"الصفرية بالمغرب: من الدعوة إلى الإمارة"، أعمال ندوة المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 147، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2008/1429م.

رابطة الدين محمد ، "من صدى توجيهات ابن تومرت في الحياة اليومية بمجال سيادة الموحدين : قراءة في مسألة القبلة "، أعمال ندوة الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حسن حافظي علوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ندوات ومناظرات رقم157، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م.

السحيباني حمد صالح، "الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت (دراسة تاريخية)"، مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، العدد 6، سنة 2006م.

السلامي رشيد ، "حول المرجعية المذهبية والتاريخية لبرغواطة"، أعمال ندوة المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب. من التعدد إلى الوحدة، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب-الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 147. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2008/1429م.

السلامي رشيد، "نكور"، معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،1426 هـ/2005م ، ج 22، ص7468.

فتحة محمد، "الموحدون والمالكية"، أعمال ندوة الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ندوات ومناظرات رقم157، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1429هـ/2009م.

القاضي وداد، "الشيعة البجلية في المغرب الأقصى"، ضمن أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، سلسلة الدراسات التاريخية -1- الجامعة التونسية، 1979م.

القبلي محمد،"انهيار الموحدين بدأ منذ معركة العقاب"، مجلة زمان(بالعربية)، العدد37، نونبر2016.

مصلح محمد ، "دور العقيدة السنية في ترسيخ جذور المدرسة المالكية بالغرب الإسلامي"، مجلة الفرقان، العدد63، السنة1430هـ/2009م.

المغراوي محمد، "الموحدون والمذهب المالكي"، أعمال ندوة الصراع المذهبي ببلاد المغرب، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ندوات ومناظرات رقم157، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1429هـ/2009م.

Hassan Aourid, " Pourquoi Le Malékisme", Zamane, N°56, Juillet 2015.